لا يأتون بمثله الآية قال فان قيل ليست البلاغة سوى المطابقة اقول توضيح السؤال ان علم البلاغة متكفل باتمام البلاغة وكل ما هو متكفل باتمام الشئ فتحصيله ومراعاته يجعل ذلك الشئ وتحصيله مع مراعاته ممكنا فيمكن اتيان كلام في الطرف الاعلى ولو بمقدار اقصر سورة منه وتوضيح الجواب انا لانسلم ان علم البلاغة متكفل باتمام البلاغة فان من جملة هذا العلم علم المعاني ولا يعرف به الا ان هذه الحاله تقتضي ذلك الاعتبار واما الاطلاع على كمية الاحوال وكيفيتها ورعاية الاعتبارات بحسب المقامات كما هو حقها فامر آخر ليس في وسع البشر ولو سلم ان علم البلاغة كافل باتمام البلاغة فلا نسلم احاطة هذا العلم لغير علام الغيوب عادة فانه عبارة عن اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان وظاهر ان احاطتها على وجه لا يشذ منها شئ خارجة عن طوق البشر وممتنعة عادة واعلم ان المقصود من هذا الجواب دفع السؤال المذكور وبيان امتناع تركيب في الطرف الاعلى من البلاغة بسبب قوة مستفادة من هذه العلوم وقد حصل ذلك واما بيان امتناع تركيب مثل ذلك الكلام بسبب السليقة المستغنية عن تحصيل تلك العلوم فامر آخر مفهوم من دليل آخر قال ظاهر هذه العبارة ان الطرف الاعلى هو حد الاعجاز اقول لان المتبادر منه ان ما يقرب منه عطف على حد الاعجاز فيلزم ان يكون حد الاعجاز وما يقرب منه هو الطرف الاعلى وهو فاسد لان ما يقرب منه انما هو من المراتب العلية دون الطرف الاعلى الذي ينتهي اليه البلاغة على ما صرح به المصنف في الايضاح كما

سبق

سبق فلا وجه لجعله من ذلك الطرف لانه اما ان يؤخذ شخصيا كالنهاية فانها غير منقسمة في الامتداد الذي جعلت امتدادا له ونوعيا كالاعجاز فان الطرف قد يجعل نوعا وماهية واحدة مع تعداد افرادها لان الملحوظ في الظرفية انما هو نفس النوع ولا تعدد فيه من حيث انه نوع وتعدد افراده لا يوجب تعدده من حيث هو هو على كلا التقديرين لا وجه لجعله منه اما على الاول فلان النهاية لما كانت غير منقسمة قطعا لا يتناول امرين متخالفين حد الاعجاز وما يقرب منه واما على الثاني فلان القريب من حد الاعجاز قريب من الاعجاز لان اضافة الحد اليه بيانيه والقريب من الشئ خارج عن ذلك الشئ فالقريب من الاعجاز خارج عن الاعجاز فلا يكون داخلا في الطرف الاعلى لان الفرض انه عبارة عن الاعجاز ولظهور هذين الوجهين لم يتعرض لهما الشارح رحمه فاتجه على الاول ان يقال لم لا يجوز ان يؤخذ الطرف الاعلى حقيقيا غاية ما في الباب ان يكون ذلك الطرف حد الاعجاز في كلام غير البشر يعني الله تعالى وما يقرب من ذلك في كلام البشر وعلى الثاني ان يقال لم لا يجوز ان يكون الحد في حد الاعجاز بمعنى النهاية والاضافة بمعنى اللام ولا شك ان ما يقرب من نهاية الشئ داخل في ذلك الشئ فيكون ما يقرب من حد الاعجاز داخلا في الاعجاز الذي هو الطرف الاعلى بالنوع فاجاب الشارح عن الاول بانه شئ لا يفهم من اللفظ مع ان الكلام في بلاغة الكلام من حيث هو هو من غير نظر الى كونه كلام البشر او غيره يعني ان ما ذكره خلاف الظاهر فلا بد في افهامه من

Copyright King Saud University